مدخل في :

(العنصريـــــــة)

obeikandl.com

(العنصرية)

قبل أن نبدأ الحديث عن (العنصرية عند اليهود) - بشكل خاص - يحسن بنا أن نتحدث - أولا - عن العنصرية عند غالبية الأمم - التي لها تأثير حضاري - بشكل عام - ولو بإيجاز - ؛ لنعرف موقع (العنصرية اليهودية) بين عنصريات تلك الأمم ؛ لتأثير هذه العنصريات بعضها على بعض ، فنقول سائلين الله تعالى التوفيق والعون والسداد :

أولا : مفهوم العنصرية :

العنصريـــة لها مفاهيم من نواح متعددة ، وسنتحدث - إن شاء الله تعالى - عن تلك المفاهيم من خلال تعريف عام لـ (العنصرية) ، وذلك عند الحديث عن (تعريف العنصرية اليهودية) ؛ باعتبارها (أي العنصرية) أحد مقطعي (العنصرية اليهودية) (١).

ثانياً : تاريخ العنصرية :

العنصرية بقدر ماهي حديثة في المجتمعات المعاصرة ، إلا أن لها جذوراً تضرب في أعماق التاريخ عند غالبية الأمم ، وهذا ماسنتحدث عنه ، من خلال مايأتي :

١ - جذور العنصرية :

لـــم تكن فكرة العنصرية - عند الأمم المعاصرة - وليدة (العصر الحديث) ، وإنما هي موغلة في القدم ، كما سنرى ذلك - إن شاء الله تعالى

---

١ راجع : (مفهوم العنصرية) ص ٥٦.

- جلياً في معالجة (العنصرية) لدى الأمم الغابرة ، وخصوصاً - في موضوع بحثنا - (اليهود) ، الذين نشأت العنصرية عندهم ، منذ أن حرفوا وحي السماء - برئاسة (عزرا الوراق) (١) - إبان فترة (السبي البابلي) ، فيما بين عامي ٥٨٦ - ٥٣٨ ق.م ؛ لينحتوا منه ديناً قومياً ، يعتمد على أساس عنصري !

وعلى ذلك ، فعمر (العنصرية) في المجتمع اليهودي - مثلا - يزيد على (٢٥٠٠) سنة (٢) .

٢ - العنصرية عند الأمم :

لايكاد يخلو مجتمع من المجتمعات (القديمة والحديثة) - في الكثير الغالب - إلا ويعتز بعنصره ، ويرى أنه العنصر الأفضل دون سائر العناصر البشرية الأخرى ، بناءاً على مفاهيم بشريه خاطئة ، اعتمدت على أسس مادية واهية ، لاسند لها صحيح من نقل أو عقل : (٣)

ويمكن تقسيم (العنصرية عند الأمم) إلى قسمين ، هما :

أ - العنصرية القديمة :

إن كل مجتمع من المجتمعات القديمة يأخذ - في الغالب - بمبدأ سمو عنصره على بقية العناصر البشرية الأخرى !

وهذه أهم العنصريات في (العصور القديمة) (٤) :

---

١ راجع ترجمة (عزرا الوراق) ص ٩٨.

٢ راجع : (نشأة العنصرية اليهودية) ص ٦٦.

٣ راجع : (الموقف من العنصرية) ج ٤ ص ٥.

٤ تنتهي (العصور القديمة) : بظهور (العصر الحديث) في (القرن ١٥ م) ، ويؤرخ له بسقوط (القسطنطينية - إستانبول) عام ١٤٥٣ م - ٨٥٧ هـ . راجع : التعريف بـ : (عصر النهضة) ص ٣٤.

١ - العنصرية في المجتمع اليوناني :

يعتقد (اليونان) (١) أن عنصرهم يسمو على سائر العناصر البشرية الأخرى ، وفي حدود ذلك قسموا العالم إلى قسمين ، هما :

١ - السادة : وهم (اليونانيون) ، ولهم كافة الحقوق والامتيازات !.

٢ - البرابرة : وهم (غير اليونانيين) ، وعليهم كافة الواجبات والالتزامات !.

يقول الفيلسوف اليوناني (أرسطو) : (٢)

« إن الله خلق فصيلتين من الناس ، فصيلة زودها بالعقل والإرادة ، وهي فصيلة اليونان ، وقد فطرها على التقويم الكامل ؛ لتكون خليفتة في أرضه ، وسيدة على سائر خلقه . وفصيلة لم يزودها إلا بقوى الجسم ، ومايتصل اتصالا مباشراً بالجسم ، وهؤلاء هم البرابرة ، أي ماعدا اليونان من بني آدم ، وقد فطرهم على هذا التقويم الناقص ؛ ليكونوا عبيداً مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاة » (٣) ! .

---

١ راجع : التعريف بـ (الدولة اليونانية) ص ٢١٣ .

٢ أرسطو : (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) فيلسوف يوناني ، تتلمذ على (أفلاطون) ، وتتلمذ عليه (الإسكندر الأكبر) . كان يحاضر - في الغالب - ماشياً ، ولذلك سمي وأتباعه بـ (المشائين) . وضع نظرية (الدولة المدينية) ، التي تقوم - في رأيه - على (النظام الديموقراطي) في الحكم ، على عكس رأي أستاذه (أفلاطون) الذي يميل إلى (النظام الشيوعي) . نادى (أرسطو) بحقوق المواطن اليوناني باستثناء العبيد ، حيث قبل مبدأ استرقاق الأمم الأخرى . يعتبر (أرسطو) من المفكرين الذين لهم تأثير في تاريخ الفكر الإنساني . انظر : د/ عبدالوهاب الكيالي وآخرين : موسوعة السياسة ج ١ ص ١٤٨ ، و د : محمد شفيق غربال وآخرين : الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٧ ، و د : زكي نجيب محمود وآخرين : الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٢٨ - ٥٠ .

٣ عمر عودة الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٣٨ .

٢ - العنصرية في المجتمع الروماني :

ليس لـ (الرومان) شخصية فكرية مستقلة ، تتميز بملامح خاصة ، وسمات منفردة ، وإنما هم نقلة لـ (الحضارة اليونانية) ، بعد أن ورثوها عسكرياً ، عام ١٤٦ ق.م (١) ، حيث تأثروا كثيراً بفلسفتهم (٢) ، فراحوا - مثلهم سواءاً بسواء- يعتقدون بأن جنسهم - وحدهم - أسمى من كافة الأجناس البشرية الأخرى ؛ وبالتالي فقد قسموا العالم إلى قسمين ، هما :

١ - السادة : وهم (الرومانيون) ، ولهم كافة الحقوق والامتيازات ! .

٢ - البرابرة : وهم (غير الرومانيين) ، وعليهم كافة الواجبات والالتزامات !

ومن ذلك ما جاء في (مدونة جوستنيان) (٣) :

« حق الولاية على الأولاد خاص بالوطنيين الرومانيين وحدهم ، فليس للأشخاص الآخرين على أولادهم ولاية ، مثل ولايتنا نحن الرومانيين على أولادنا » ! (٤) .

٣ - العنصرية في المجتمع الفارسي :

يعتقد (الفرس) (٥) أن جنسهم أرقى الأجناس البشرية الأخرى (٦) ، هذا فضلا عن التفاوت الطبقي ، الذي بلغ شأواً بعيداً في (المجتمع

---

١ راجع : التعريف بـ (الدولة الرومانية) ص ٢١٧ .

٢ انظر : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٤١ .

٣ مدونة جوستنيان : هي مجموعة من القوانين التي تحوى أحكام الفقة الروماني ، نشرها عام ٥٣٣ م الامبراطور الروماني (فلافيوس : ؟ - ٥٦٥ م) ، الذي تولى (الإمبراطورية الرومانية الشرقية - البيزنطية) -التي عاصمتها (القسطنطينية)- عام ٥٢٧ م . انظر : نورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية - تاريخها وحضارتها وعلاقتها بالإسلام ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

٤ فلافيوس جوستنيان : مدونة جوستنيان في الفقه الروماني ص ٢٠ .

٥ راجع : التعريف بـ (الدولة الفارسية) ص ٢١٠ .

٦ انظر : أبوالحسن علي الحسني الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٢ .

الفارسي) ، يقول الدكتور (أرتهرسين) : (١)

« كان المجتمع الإيراني مؤسساً على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لايقوم عليها جسر ولاتصل بينها صلة ، وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقاراً لأمير أو كبير ، وكان من قواعد السياسة الساسانية أن تضع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبه ، ولايستشرف لما فوقه ، ولم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التي خلقه الله لها ، وكان ملوك إيران لايولون وضيعاً وظيفة من وظائفهم ، وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزاً واضحاً ، وكان لكل واحد مركز محدد في المجتمع » (٢) ! .

٤ - العنصرية في المجتمع الهندي :

لايعرف تاريخ العالم نظاماً أشد استهانة بكرامة الإنسان من النظام الذي اعترفت به (الهند) دينياً ومدنياً ضد رعاياها ، ممن لاينتسبون إلى السلالة (الآريه) (٣) النجيبة ! (٤) .

فقد وضع في الهند قانون في حوالي (القرن الثالث قبل الميلاد) عرف بـ (منوشاستر) أي (قانون منو) (٥) ، يقسم سكان الهند - ذاتها - إلى

---

١ أرتهرسين : لم أقف له على ترجمة .

٢ أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٠ - ٥١ ، نقلا عن : أرتهرسين : إيران في عهد الساسانيين ص ٥٩٠ - ٤٢٢ .

٣ راجع : التعريف بـ (الآرية) ص ٥٠.

٤ عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٤٦ - ٤٧ .

٥ قانون منو : هو عبارة عن مرجع ديني ونظام مدني ، يحوي مجموعة من القوانين ، من بينها أحكام التعامل بين الطبقات الهندية - كما ذكرنا أعلاه - وقد وضعه الفيلسوف الهندي (منو : حوالي القرن ٣ ق.م) . انظر : أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٨ .

(أربع طبقات) ، كما يأتي :

١ - البراهمة : وهم طبقة الكهنة ورجال الدين .

٢ - شتري : وهم رجال الحرب .

٣ - ويش : وهم رجال الحرف المهنية كالتجارة والزراعة .

٤ - شودر : وهم رجال الخدمة !.(١)

٥ - العنصرية في المجتمع العربي :

كان (العرب) - في جاهليتهم الأولى - يعتدون بجنسهم - على الرغم مما هم فيه من فقر وجدب وبداوة - ، على سائر الأجناس البشرية الأخرى - التي تنعم بالغنى والخصب والحضارة (٢) ، حيث يطلقون على تلك الأجناس - من غير استثناء - مسمى (الأعاجم) ؛ تشبيهاً لها - ولو من باب اللغة - بالحيوانات العجماء ! (٣)

ولذلك كان العرب يمتنعون عن تزويج بناتهم من أولئك الأعاجم ، حتى ولو كانوا من الملوك ، وخير دليل على ذلك امتناع (النعمان بن المنذر) (٤)

---

١ انظر : أبوالحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٥٨ .
وقد أضاف المستشرق البريطاني (توماس أرنولد) - الذي قضى عدة سنوات في الهند أستاذاً في (جامعة عليكرة) و(جامعة لاهور) ، ومساعداً لأمين (مكتبة ديوان الهند) - طبقة خامسة ، وهي :
٥ - جندال : وهؤلاء لايفترقون - في نظر (البراهمة) - عن الحيوانات ! ، وذلك في كتابه : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٢٧ .

٢ انظر : د/ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ٢٦٨

٣ انظر : المرجع السابق ج ٤ ص ٥٤٤

٤ النعمان بن المنذر : (؟ - حوالي ٦٠٨ م = ؟ - حوالي ١٥ ق٠هـ) أبو قابوس النعمان (الثالث) بن المنذر (الرابع) بن المنذر بن امريء القيس ، من أشهر ملوك العرب في الجاهلية . ملك (الحيرة) - وكانت تابعة لـ (الفرس) - إرثاً عن أبيه ، حوالي عام ٥٩٢ م ، فأمره (كسرى)

ملك الحيرة في العراق - من قبل (الفرس) - من تزويج ابنته لـ (كسرى) (١) : (أبرويز بن هرمز) (٢) ملك الفرس . (٣)

٦ - العنصرية في المجتمع النصراني :

كانت (الديانة النصرانية) تقوم - في بادىء أمرها - على مبادىء تدعو إلى المساواة بين أبناء الجنس البشري (٤) ، ولكنها بعد التدخل البشري الذي حرف دستورها (العهد الجديد - الإنجيل) (٥) انحرفت عن هذه المساواة، في تملق واضح لطبقة (السادة) ، حيث جعلت خضوع الناس

عليها . كان (النعمان) أبرش أحمر الشعر قصيراً ، وكان داهية مقداماً ، وهو ممدوح (النابغة الذبياني) و (حسان بن ثابت) و (حاتم الطائي) ، وهو صاحب إيفاد العرب على (كسرى) ، وباني مدينة (النعمانية) على الضفة اليمنى لنهر (دجلة) ، وصاحب يومي البؤس والنعيم ، وقاتل الشاعر (عبيد بن الأبرص) في يوم بؤسه . نقم (كسرى أبرويز) عليه أمراً - ولعله عدم رضاه عن تزويجة ابنته ، كما ذكرنا أعلاه - ، فعزله ، ونفاه إلى (خانقتين) ، فسجن فيها ، إلى أن مات ، وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته . انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٩ ، و : الزركلي : الأعلام ج ٨ ص ٤٣ .

١ كسرى : لقب يطلق على ملوك فارس (الساسانيين) الذين تولوا حكم الدولة الفارسية في (القرن ٣ م) . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٦٣ ، و : راجع : التعريف بـ (الدولة الفارسية) ص ٢١٠.

٢ أبرويز بن هرمز : (؟ - ٦٢٨ م = ؟ - ٧ هـ) هو (كسرى الثاني) ، حفيد (كسرى الأول - أنوشروان) ، خلف أباه (هرمز) عام ٥٩٠ م ، ولكنه لقي معارضة من (بهرام) الذي استنجد بالامراطور الروماني (موريس) ، فأعلن (كسرى) الحرب للانتقام ، واستولى على كثير من الأقاليم البيزنطية ، حتى هزمه الامبراطور الروماني الجديد (هرقل) قرب (نينوي) فهرب ، وهذا مصداق ماجاء في أول (سورة الروم) ، وقد تمردت القوات الفارسية عليه ، حتى تمكنت من سجنه ، حيث قتل ، وهذا - أيضاً - مصداق نبوءة الرسول ﷺ ، حين دعا عليه بتمزيق ملكه ، كما مزق كتابه الذي يدعوه فيه إلى الإسلام . وقد خلف (أبرويز) ابنه (قباد الثاني) . انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٧٦ - ١٩٣ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٦٣ .

٣ انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٠٤ .

٤ انظر : د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ٦٣

٥ راجع : (العهد الجديد - الإنجيل) ج ٢ ص ١٩٠.

، ولاسيما (الأرقاء) لهذه الطبقة - ولو بغير وجه حق - ديناً ملزماً . (١)

يقول (بطرس) (٢) في رسائله :

« أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط بل للضعفاء أيضاً » (٣)

٧ - العنصرية في المجتمع اليهودي :

العنصرية في (المجتمع اليهودي) هي أسوأ أنواع العنصرية الموجهة ضد الجنس البشري - عدا اليهود - على الإطلاق ! .

وهذا موضوع بحثنا الرئيس ، الذي سنتحدث عنه تفصيلا - إن شاء الله تعالى -، وذلك بعد تمام الحديث عن (العنصرية) بشكل عام .

ب - العنصرية الحديثة :

لايزال كل مجتمع من المجتمعات المعاصرة يأخذ - في الغالب - بشيء من المبادىء العنصرية لمجتمعه القديم ! ؛ وذلك باعتباره وريثاً لذلك المجتمع الغابر ، على مايأتي :

فالمجتمع الفارسي : قد استمر في عنصريته (الشعوبية) (٤)،من خلال

---

١ انظر : د / أحمد شلبي : مقارنة الأديان ج ٢ (المسيحية) ص ٦٧

٢ بطرس : (القرن ١ م) كان صياداً ، دعاه المسيح عيسى - عليه السلام - إلى الدخول في دينه فاستجاب ، وسماه (بطرس) . رأس (الكنيسة) في مهدها ، أقام في (أنطاكية) ثم نزح إلى (روما) مبشراً ، وهناك قتل ، وتوجد باسمه كنيسة كبيرة في روما، أقيمت عام ٣٢٦ م ، ثم جددت في (القرن ١٥ م) على يد كبار الفنانين . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٧٨ .

٣ رسالة بطرس الأولى ، إصحاح (٢) فقرة : ١٨ .

٤ الشعوبية : كلمة منسوبة إلى (الشعوب) - جمع (شعب) - وهي في إصطلاح التاريخ الإسلامي : حركة نشأت في أحضان (الفرس) منذ ظهور الإسلام ، وذلك كرد فعل تعصبي ضد العرب الذين قضوا على (الدولة الفارسية) ؛ بهدف الحط من شأنهم ، وقد اقتصرت (الشعوبية) في بداية الأمر على العنصر الفارسي وحده ، ولكنها مالبثت أن ضمت إليها كثيراً من العناصر غير العربية !. انظر : أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ج ٤ ص ١١٤-١١٦ ، و : د/ عبدالله سلوم السامرائي : الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ص ٩٢ - ١٢٢ ، و : إسماعيل العرفي : في الشعوبية ص ٢١ .

و : لمزيد من المعلومات حول (الشعوبية) . انظر : د/ عبدالله السامرائي : الشعوبية .

أخذه بمبدأ (التشيع) منذ فجر الإسلام ، ليزداد الأمر سوءاً في هذا (العصر) بعد تسلم علماء الشيعة زمام السلطة في إيران ، بقيادة (الخميني) (١) ، عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م (٢) ، حيث مارسوا - ومازالوا - أسوأ أنواع النشاط الإرهابي ضد العالم على وجه العموم ، والمسلمين - والعرب منهم - على وجه الخصوص ! .

---

١ الخميني : (١٩٠٠ - ١٩٨٨ م = ١٣١٨ - ١٤٠٨ هـ) زعيم الثورة الإيرانية ، ولد (روح الله الموسوي) في بلدة (خمين) في الشمال الشرقي من (طهران) . كان منذ طفولته بارعاً ، ولم يكن يعيقه أي شيء عن دراسته سوى لعبة (كرة القدم) ، التي استمرت معه - حتى بعد أن أصبح زعيماً لإيران - من خلال مشاهدتها عبر التلفزيون ، انتقل عام ١٩٢٠ م - ١٣٣٨ هـ إلى مدينة (قم) - المقدسة عند (الشيعة) - ، حيث أكمل دراسته في (مدرسة فيزياه) ، تزوج من امرأه تدعى (خديجة) ، حيث أنجبت له (ستة أولاد) . دفعته بلاغته إلى كتابة الشعر ، وكان يوقع على انتاجه باسم مستعار ، ألا وهو (هندي) ، ولكن بعد أن استعلمت (المخابرات الإيرانية - السافاك) هذه القضية ، وذلك ببث الإشاعات ضده من أنه ليس إيرانياً ، بل هندياً ، توقف عن التوقيع باسم (هندي) ، واستخدم اسم (خميني) ، نسبة لمسقط رأسه (خمين) . كان (الخميني) يتقدم تدريجياً في الوسط الديني ، حيث حصل في نهاية (الخمسينات الميلادية) على لقب (آية الله) . وفي عام ١٩٦٢ م - ١٣٨٢ هـ بدأ الصراع بين العلماء الشيعة وبين الحكومة بعد عزمها على تنفيذ (الإصلاح الزراعي) ، حيث نظم (الخميني) أول إضراب له ضد الشاه (محمد رضا بهلوي) ؛ لأنه اعتبر ذلك وسيلة لسلب المؤسسة الدينية أملاكها ؛ لتتجدد - بعد ذلك - المظاهرات التي يقودها (الخميني) ضد (الشاه) في كافة شؤون الدولة ؛ نظراً لمعارضتها الإسلام ، حيث وضع رهن (الإقامة الجبرية) ، غير أنه لما واصل صراعه اعتقل ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم عفي عنه ، وطرد خارج إيران عام ١٩٦٣ م - ١٣٨٣ هـ ، حيث استقر في (النجف - العراق) ، حتى طرد منها عام ١٩٧٨ م - ١٣٩٨ هـ ، فارتحل إلى فرنسا ، ومن هناك بدأ التخطيط الفعلي لإسقاط الشاه ، حين اتحدت جميع فئات الشعب الإيراني على ذلك ، حتى بلغت الأزمة الداخلية في إيران ذروتها ؛ مما اضطر (الشاه) - إلى مغادرة إيران في ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ م - ١٨ صفر ١٣٩٩ هـ ، ليعود (الخميني) إلى (طهران) في ١ شباط (فبراير) - ٤ ربيع الأول من العام نفسه ، حيث أعلن في ٣٠ آذار (مارس) - ٢ جمادي الأولى من العام نفسه (الجمهورية الاسلامية) في إيران . انظر : شموئيل سيجف : المثلث الإيراني - العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأمريكية ص ٥٣ - ٦٠ .

٢ اعتمدت - غالباً - في مقارنة التواريخ الهجرية بالميلادية ، والعكس ، على كتاب : محمد مختار باشا : التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية ، و : كتاب : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري : معرفة الصواب في موافقة الحساب .

أما المجتمع الهندي : فقد استمر على عنصريته السابقة ، المتمثلة في (الطبيقة) ، ضد فئاته المختلفه ، اللهم إلا تغيرات طفيفة لاتكاد تذكر ، على الرغم من التقدم الحضاري للشعوب الهندية ! .

وأما المجتمع العربي : فقد كاد - بخديعة من أعدائه - أن ينبذ إسلامه ، مع بداية سقوط (الخلافة العثمانية الإسلامية) في تركيا في (أوائل القرن الرابع عشر الهجري - أواخر القرن التاسع عشر الميلادي) ، مستبدلا له - من جديد - بالعنصريـة البغيضـة ، المتمثلـة بـ (القومية) (١) !.

ولكن الصحوة الإسلامية التي تعم أرجاء المجتمع العربي -، بل والمجتمع الإسلامي قاطبة - كفيلة بالقضاء على تلك العنصرية الدخيلة على الأجواء الإسلامية - إن شاء الله تعالى - . (٢)

وأما المجتمعات الغربية النصرانية المعاصرة : فقد أصبحت منذ استقلال شعوبها ، بعد سقوط (الامبراطورية الرومانية النصرانية) - وريثة (الامبراطورية اليونانية) - في (القرن الرابع عشر الميلادي) ، تشكل دولا عنصرية متشابهة ، تكون معسكراً واحداً ، يعرف بـ (الحضارة الغربية) ، ضد الشرق كله ، حيث خطت الفكرة العنصرية في تلك المجتمعات « خطاً فاصلا بين الغرب والشرق ، أو بين أوروبا وبين سواها من القارات والأقاليم و [بين] الجنس الآري وبين ماعداه من أجناس البشر ،[فساد الاعتقاد] أن كل مادون هذا الخط له الفضل على كل ماوراءه من نسل وشعب وثقافة وحضارة وعلم وأدب ، وأن الأول خلق ليسود ويحكم ، والثاني ليخضع ويدين ، والأول ليبقى

---

١ راجع : (القومية العربية) ج ٣ ص ٣٧١.

٢ راجع : (الموقف الإسلامي من العنصرية) ج ٤ ص ١٥٦.

ويزدهر ، والثاني ليموت ويضمحل » ! . (١)

وتقوم العنصرية في تلك (المجتمعات الغربية) على عدة روافد ، أهمها :

١ - العداء للعالم الإسلامي :

لقد أدى الصراع - المتواصل - بين العالم الإسلامي وأوروبا النصرانية، إلى عداء مستحكم بين الطرفين . وقد تمثل ذلك الصراع في مظاهر عديدة ، أهمها :

١ - الفتوحات الإسلامية للبلاد الخاضعة لحكم النصارى الأوروبيين ، في الشام، وشمال أفريقية ، والأندلس .

٢ - فشل الحملات العسكرية ، التي نظمها النصارى الأوربيون ، ضد العالم الإسلامي ، فيما عرف بـ (الحروب الصليبية) (٢) ، التي استمرت مايزيد على قرنين من الزمان : (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ = ١٠٩٦ - ١٢٩١ م) .

٣ - سقوط (القسطنطينية) ، عاصمة (الإمبراطورية البيزنطية) عام ١٤٥٣ م - ٨٥٧هـ بيد (الدولة العثمانية) ؛ لتتخذها عاصمة لها ، تحت مسمى (استانبول) ، وماتلا ذلك من فتوحات في جنوب أوروبا (البلقان) .

كل ذلك - وغيره - أجج روح الحقد والعداء في نفوس النصارى الغربيين، ضد المسلمين في الشرق ، على الرغم من انتصارهم على المسلمين ، من خلال (الاستعمار) في (العصر الحديث) (٣) ! .

---

١ أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢١٢ - ٢١٣ .

٢ راجع : (المساهمة في تمويل الحروب الصليبية) ج ٣ ص ٦٠٧.

٣ راجع : (الخوف من انبعاث الإسلام) ج ٤ ص ١٧٨.

obeikandl.com

٢ - التعلق بالموروثات الفلسفية :

لقد استفادت أوروبا حضارياً من احتكاكها بالحضارة الإسلامية ، في الأندلس ، وصقلية ، وجنوب إيطاليا ، وذلك عن طريق ترجمة (العلوم الإسلامية) إلى (اللغة اللاتينية) (١) ، حتى أن اطلاع أوروبا على الفلسفتين : (اليونانية) ، و(الرومانية) إنما جاء عن طريق ترجمة مانقله عنها الفلاسفة المسلمون في (المشرق) و (المغرب) على السواء ٠ (٢)

وقد برزت منذ (عصر النهضة) (٣) ظاهرة ارتباط المثقفين الأوروبيين بهذه الفلسفة ، حيث كان من شأن هذا الارتباط أن يعطى للموروثات القديمة من الأفكار العنصرية اليونانية والرومانية، حول تصنيف البشر إلى سادة وعبيد - كما مر معنا - (٤) قيمة كبرى تطبع آثارها لدى فريق كبير من المثقفين الغربيين بما تناولوه بالبحث من موضوع المجتمعات ونشأتها وتطورها ، ولايكاد الباحث

---

١ انظر : ستانوودكب : المسلمون في تأريخ الحضارة ص ١١١ - ١١٨ ، و : د/ عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ص ٢٨١ - ٢٨٧ ، و : عمر فروخ : الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها ص ٣٩ - ٤١ ، و:أحمد علي الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ، ص ١١٥ - ٢١٦ ، و : قدري حافظ طوقان : علماء العرب وما أعطوه للحضارة ص ٦ - ١٣ ، و : أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص ٣٧٣ - ٣٧٩ .

٢ انظر : أحمد الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ص ١١٥ - ١٣١ و ٢٠٠ - ٣١٠ ، و : قدري طوقان : علماء العرب وما أعطوه للحضارة ص ٦ - ٧ ، و : أبوزيد شلبي : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ٠

٣ عصر النهضة : مصطلح يطلق على فترة الأنتقال من (العصور الوسطى) إلى (العصور الحديثة) ، في (القرون ١٤ - ١٦ م) ، ويؤرخ لها بسقوط (القسطنطينية - استانبول) عام ١٤٥٣ م - ٨٥٧ هـ ، حيث نزح العلماء - بتياراتهم الثقافية المتضمنة تراث اليونان والرومان - إلى ايطاليا ، ومنها انتشرت النهضة إلى سائر أنحاء أوروبا ٠ وكان من أهم مآثر عصر النهضة الكشوف الجغرافية ، على أيدي طائفة من الرحالة ، وفي طليعتهم : (كريستوف كولومبس) و(فاسكو دي جاما) و (ماجلان) ٠ انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢١٦ ٠

٤ راجع : (العنصرية في المجتمع اليوناني) ،ص ٢٥.

يفقد - في كل ماجاء به هؤلاء المثقفون من نظريات وآراء - أثر الفلسفة اليونانية والرومانية ، إشادة كاملة بها ، وتلقياً تاماً عنها - حيناً - أو مناقشه لها ، وتسليماً ببعضها - حيناً آخر - ! ٠ (١)

هذه الأفكار العنصرية القديمة تفاعلت في أذهان الكثير من المثقفين الغربيين ، من أمثال :

- المفكر الفرنسي (شارل دي مونتسكيو) ٠ (٢)
- والكاتب الفرنسي (جوزيف دي جوبينو) ٠ (٣)
- والفيلسوف الفرنسي (أرنست رينان) ٠ (٤)
- والفيلسوف الألماني (فردريك نيتشه) ٠ (٥)

---

١ انظر : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٧٠ .

٢ شارل دي مونتسكيو : (١٦٨١ - ١٧٥٥ م = ١٠٩٢ - ١١٦٨ هـ) كاتب وفيلسوف فرنسي ، يعتبر مؤلفه : (الرسائل الفارسية) الصادر عام ١٧٢١ م - ١١٣٣ هـ - وهو نقد للمجتمع الأوروبي - أروع كتاب في الأدب الساخر ، كما أصدر كتاباً عام ١٧٣٤ م - ١١٤٧ هـ ، أطلق عليه : (نظريات في أسباب عظمة الرومان وسقوطهم) ، وهو تمهيد لمؤلفه السياسي الشهير الذي اقترن اسمه به ، وهو : (روح القوانين) الصادر عام ١٧٤٨ م - ١١٦١ هـ ، والذي بين فيه أشكال الحكومات المختلفة ، كما بين فيه أحقية الشعوب الأوروبية في استعباد الشعوب الأفريقية !٠ انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٩٠ ، و : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٧١ - ٧٢ .

٣ جوزيف دي جوبينو : (١٨١٦ - ١٨٨٢ م = ١٢٣١ - ١٢٩٩ هـ) كاتب وسياسي فرنسي ، وهو أول شارح فرنسي لنظرية سيادة السلالة النوردية ٠ له نظريات ضد (الديموقراطية) ، وضد (الشعوب السامية) ٠ كرس (جوبينو) أهم مؤلفاته للحديث عن (التفاوت بين الأجناس البشرية) !٠ انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٦٥٧ ٠

٤ أرنست رينان : (١٨٢٣ - ١٨٢٩ م = ١٢٣٨ - ١٣٠٩ هـ) مؤلف وناقد ومستشرق فرنسي ، اهتم بدراسة الدين من الناحية التاريخية ٠ ولـ (رينان) مؤلفات كثيرة ، أهمها : (تاريخ شعب إسرائيل) الصادر عام ١٨٨٧ م - ١٣٠٤ هـ ٠ انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٨٧٥ - ٨٧٦ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٣ ٠

٥ فردريك نيتشه : (١٨٤٤ - ١٩٠٠ م = ١٢٦٠ - ١٣١٨ هـ) فيلسوف ألماني ، كان أستاذاً لـ (أصول اللغة) في (جامعة بال) عام ١٨٦٩ م - ١٢٨٦ هـ ٠ أصيب باضطرابات عصبية ، انتهت به إلى مرض عقلي خطير ٠ ولـ (نيتشة) مؤلفات كثيرة أهمها : (هكذا تكلم زاردشت) ، وهو بمثابة قصيدة

حيث خرجوا - وغيرهم - بنظريات تحاكي نظريات أسلافهم العنصرية حول تقسيم البشر ، مفادها :

- أن (الجنس الآري) أفضل من (الجنس السامي) - وغيره - ؛ لأنه جنس راق ، يتمتع بصفات لاتقارن بها صفات أخرى ، حيث تقوم تلك الصفات على أساس الملامح الجسمانية : كالقامة ، ولون البشرة ، ولون العيون ، وشكلها ، ولون الشعر ، وشكله ، وشكل الرأس ، وحجمه ، إلخ .... ! (١)

وهذه النظريات لاتثبت أمام التحقيق العلمي - الشرعي ، والعقلي - ، الذي أثبت بطلانها ، وعدم صلاحيتها للتفريق بين البشر . (٢)

٣ - التقدم المادي :

لقد أدى الحجر الكنسي على النشاط العلمي -وغيره من مجالات الحياة- في أوروبا، إلى صراع مرير بين الكنيسة والعلم ، لم ينته إلا بانتصار العلم ، وسقوط التأثير الديني للكنيسة ، في مختلف مجالات الحياة ، مما يعرف بـ (العلمانية) (٣) ، وذلك بعد (الثورة الفرنسية) (٤) عام ١٧٨٩ م - ١٢٠٣ هـ ، بما

مستفيضة يبشر فيها بالإنسان الأعلى (السوبرمان) ، وبأخلاقية السادة ، ويهاجم الأخلاق التقليدية ، وخاصة الأخلاق النصرانية ؛ لأنها - في رأيه - أخلاق تصلح لسواد الناس ممن ينساقون وراء الأقوى ! . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٤ ، و : الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٤٨٤ - ٤٨٩ .

١ انظر : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٧١ - ٨٠ .

٢ راجع : (الموقف من العنصرية) ج ٤ ص ٥. .

٣ راجع : التعريف بـ (العلمانية) ج ٣ ص ٦١١.

٤ الثورة الفرنسية : انقلاب سياسي بدأ بفرنسا عام ١٧٨٩ م - ١٢٠٣ هـ ، وأثر في العالم كله ، والسبب المباشر في هذه الثورة هو حالة الإفلاس التي كانت عليها خزينة الدولة ، إذ نشأ عن حروب (القرنين ١٧ ، ١٨ الميلاديين) وقصور النظام الضريبي ، ومجافاته للعدالة ، والإسراف ، والتدخل في الثورة الأمريكية ، دين عام ضخم ، عجزت الحكومة عن انقاصة ، حيث دعا الملك (لويس السادس

أفسح المجال لتحكم النظرة المادية في الحياة الغربية ، وبالتالي بروز قوة الغرب المادية ، المتمثلة بـ (الثورة الصناعية) ٠ (١)

وقد كان من نتاج تلك الروافد - وغيرها - ، نشوء العنصرية في (العصر الحديـــث) ، الذي شهد قيام الدول الغربية - (الأوربية ، والأمريكية) - الحديثه ، التي تبنت مفهوماً قومياً عنصرياً ، يقوم على أساس نظرية (سيادة الرجل الأبيض الآرى) ضد كافة الشعوب الملونة الأخرى ! ٠

وهذه أهم العنصريات في (العصر الحديث) : (٢)

عشر) (مجلس طبقات الأمة) ، ورجاله أن يوافق على الإصلاحات الضريبية ، فاجتمع في (فرنسا) عام ١٧٨٩ م - ١٢٠٣ هـ ، ومنذ البداية انضم إلى نواب طبقة العامة عدد كبير من صغار (رجال الدين) ، وقليل من النبلاء ، وطالبوا بإصلاحات سياسية واجتماعية خارجة عن نطاق سلطات (الجمعية الوطنية) ، وتحدوا الملك ، وأعلنوا أنفسهم جمعية وطنية ، وأقسموا أن لاينفضوا حتى يصنعوا للبلاد دستوراً ، فقبل الملك ، حقناً للدماء ، وألغت الجمعية جميع الامتيازات الإقطاعية ، ثم رسمت (الجمعية التأسيسية) دستوراً قيد السلطة إلى حد العجز عام ١٧٩١ م - ١٢٠٥ هـ ، وكانت مقدمة (إعلان حقوق الإنسان) الشهير ، وصدرت تشريعات ضد (رجال الدين) ، حين طلب إليهم أن يقسموا اليمين للسلطة المدنية ، فاعتزم الملك اللحاق بالنبلاء الذين سبقوه إلى الهرب للخارج ، إلا أنه قبض عليه ، وأرجع إلى (باريس) ، وقبل الدستور الجديد ، وأصبح الشعار الجديد : (حرية ، مساواة ، إخاء) ، ثم بدأت حروب (الثورة الفرنسية) عام ١٧٩٢ م - ١٢٠٦ هـ ، فأدت الانهزامات الأولى إلى إشاعات عن خيانة الملك ، فهجمت الجماهير على القصر الملكي ، وأوقفت الجمعية الملك ، وقتل فئات المسجونين الملكيين بأيدي الجماهير التي قامت بذلك من تلقاء نفسها ، وفي العام الميلادي نفسه ١٧٩٢ م - ١٢٠٧ هـ ، ألغي النظـام الملكـي ، وأعدم الملك بتهمـــة الخيانة عام ١٧٩٣ م - ١٢٠٧ هـ ، وأقيمت الجمهورية الأولى ، ثم تذبذب الأمر حتى انتهى بانقـــلاب (نابليـــون بونابرت) عـام ١٧٩٩ م - ١٢١٤ هـ ٠ انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٨٦ .

١ من المفارقات العجيبة : أنه في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تغط في ظلام الجهل إبان (القرون الوسطى) ، كان العالم الإسلامي - لتفيؤه ظلال دينه - في أوج حضارته : الروحية والمادية ، ولكن الأمر - ويالأسف - انقلب رأساً على عقب، إذ أنه في الوقت الذي بدأت فيه أوروبا تتقدم مادياً - نتيجة لاحتكاكها بالحضارة الإسلامية - كان العالم الإسلامي - لبعده عن دينه - يتراجع ، والأمر لله من قبل ومن بعد ! ٠ راجع : (ضعف المسلمين) ج ٤ ص ٣٢١.

٢ يبدأ (العصر الحديث) : في (القرن ١٥ م) ، ويؤرخ له بسقوط (القسطنطينية - أستانبول) عام ١٤٥٣ م - ٨٥٧ هـ ٠ راجع : التعريف بـ (عصر النهضة) ص ٣٤.

١ - العنصرية الاستعمارية :

الاستعمار ظاهرة عنصرية قائمة منذ العصور القديمة (١)، وفي (العصر الحديث) حاولت الدول الغربية - (وأشهرها في أوروبا : بريطانيا ، فرنسا ، ألمانيا ، بلجيكا ، هولندا ، إيطاليا ، أسبانيا ، البرتغال ، وفي أمريكا : الولايات المتحدة الأمريكية) - أن تجد لها مبرراً في الاستيلاء على أراضي الشعوب الأخرى ، حيث مهدت لنواياها - تلك - بالإيعاز إلى المدارس الاستشراقية (٢) بنشر النظريات الداعية إلى مساعدة البلاد المتخلفة في آسيا ، وأفريقيا - خصوصاً العالم الإسلامي - وذلك بنشر الثقافة الغربية بين شعوبها ، على اعتبار أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل تلك البلاد المتخلفة إلى حضارة العصر ! .

وهذه أهم الأشكال الاستعمارية العنصرية :

أ - الاستعمار التقليدي :

يتجسد (الاستعمار التقليدي) - وهو يرجع في جذوره إلى الكشوف الجغرافية (٣)، إبان عصر النهضة الأوروبية خلال (القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادية) - في قدوم موجات متتالية من سكان البلدان الاستعمارية الغربية إلى المستعمرات - في آسيا ، وأفريقيا - ، تحت مظلة الاحتلال العسكري ، بقصد الهيمنة على الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، ... ! (٤) .

---

١ لقد نشأت الامبراطوريات الاستعمارية منذ فجر التاريخ ، مثل : الإمبراطوريات : المصرية ، والبابلية ، والآشورية ، والفارسية ، واليونانية ، والرومانية ، والبيزنطية ، وغيرها .

٢ راجع : (أهداف الدراسات الاستشراقية) ج ٣ ص ٥٤٨.

٣ لمعرفة هذه الكشوف الجغرافية ، انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٤.

٤ انظر : أحمد عطيه الله : القاموس السياسي ص ٥٨ .

وقد مارس المستعمرون مع شعوب المستعمرات - على اعتبار أنهم أحط منهم شأناً في كل النواحي : الدينية ، والخلقية ، والجنسية ، والبدنية ، واللغوية ، والعلمية ، ... ! - كافة أشكال التمييز العنصري ، والتفرقة العنصرية في كافة مجالات الحياة : الدينية ، والسياسية ، والأقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وغيرها ! .

ولكن نجم الاستعمار التقليدي منذ (الحرب العالمية الثانية)، عام ١٩٤٥م - ١٣٦٤هـ إلى أفول ، إذ شهدت هذه الفترة - إبى يومنا - نضالا : سياسياً ، وعسكرياً من قبل الشعوب المستعمرة ضد الوجود الاستعماري الأجنبي في بلادها ؛ مما أدى إلى حصول معظم المستعمرات على استقلالها الوطني . (١)

هذا ، ولم تقتصر الممارسات العنصرية على الشعوب المستعمرة في بلادها ، فهؤلاء قد تخلصوا من هذا لوضع ، أو كادوا - كما ذكرنا قبل قليل - ، وإنما امتدت - فيما بعد - إلى المهاجرين - طوعاً - ، والمهجرين - كرهاً - من تلك الشعوب إلى البلاد الاستعماريه - لتؤدي خدمات لايستطيعها أبناء تلك البلاد - ، حيث تمارس ضدهم - على الرغم من حصول كل المهجرين وبعض المهاجرين على جنسيات البلاد التي هاجروا إليها ، فضلا عمن لم يحصل منهم على الجنسية ، في كافة الدول الغربية - كافة أشكال التمييز العنصري - أيضاً - ! .

فأين دعاوى (الديموقراطية(٢) - Democracy) التي يتبجحون بها ياترى ؟ !.

---

١ انظر : موسوعة السياسة ج ١ ص ٣٠٢ .

٢ الديموقراطية : كلمة (يونانية) مركبة من كلمتين : (ديموس) بمعنى : الشعب ، و(كراتوس) بمعنى : الحكم ، ومعناها الحرفي في السياسة ، هو : (حكومة الشعب) ، وهي في مدلوها (العام) : تتسع لكل مذهب سياسي يعتبر إرادة الشعب مصدراً لسلطة الحكام ، كما تشمل كل نظام سياسي يقوم على حكم الشعب لنفسة ، باختياره الحر لحكامة ، ثم برقابتهم بعد اختيارهم ، ولما كان اجماع الشعب مستحيلا ، وبخاصة في أمور السياسة ، فإن حكومة الشعب قد أصبحت تعني عملياً حكومة الأغلبية ،

ياترى ؟ !

أم أن (الديموقراطية) لاتصلح إلا لمن نصبوا أنفسهم سادة لهذا العالم ؟ ! ، أما من عداهم فعندهم القوانين الجائرة ، التي سنت خصيصاً من أجلهم !

ب - الاستعمار الاستيطاني :

يرجع (الاستعمار الاستيطاني) - وهو يمثل أسوأ أشكال الاستعمار - في جذوره إلى (الاستعمار التقليدي) " ويتلخص في وجود غرباء أوربيين أساساً ، مزروعين [تحت مظلة الاحتلال العسكري] وسط محيط من سكان البلاد الأصليين ، يشعرون بالبقاء والتفوق العرقيين ، ويمارسون إزاء السكان الأصليين شتى ضروب التمييز العنصري» (١) في كافة مجالات الحياة : الدينية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والثقافية والاجتماعية ، وغيرها ، حتى التشريد ،

كنظام متميز عن نظام الحكم الفردي ، ونظام حكومة الاقلية ، وتنقسم (الديموقراطية) إلى قسمين ، هما :

١ - الديموقراطية التقليدية الغربية ، وهي تستند إلى دعامتين أساسيتين : أولاهما : مبدأ سيادة الشعب ومايقتضيه من حقه في اختيار حكامه ورقابتهم ، والثانية : مبدأ كفالة الحريات الفردية في المجالين : السياسي والاقتصادي مع العناية الخاصة بالمساواه السياسية . وقد ارتبطت هذه الديموقراطية التقليدية بالمبدأ الفردي الحر الذى يغالي في تقييد سلطان الدولة ؛ رعاية لحقوق الأفراد.

٢ - الديموقراطية الشعبية الشرقية ، وهي تستند إلى نظام يعتمد الفلسفة السياسية والاقتصادية التي أرسى قواعدها (كارل ماركس) ، وتختلف هذه الديموقراطية الشعبية على سابقتها من نواح عديده ، أبرزها : ١ - أنها تضع تحقيق العدالة الاجتماعية قبل تحقيق الحرية والمساواة الفردية ٢ - أنها نظام كلي يركز السلطة في يد الهيئات الحاكمة ، وبالتالي فلا تعترف بمبدأ الحريات الفردية ، في المجالين السياسي والاقتصادي ، وبناءاً على ذلك فـ (الديموقراطية) ليست هي المنهج الأمثل للحياة البشرية ، وإنما المنهج الصحيح كامن في دين الإسلام ، المتمثل في نظام (الشورى) . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٣٧ ، و : أحمد عطيه الله : القاموس السياسي ص ٥٤٧-٥٤٨ و : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٧٥٠-٧٥٨.

١ موسوعة السياسة ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

والسجن ، والإبادة ! .

ويتركز وجود (الاستعمار الاستيطاني - الاحتلال) في كثير من أنحاء العالم (١)، وأشهره - حالياً - (٢) في دولتين ، تشكلان أعظم دول العالم عنصرية على الإطلاق ، وهما :

١ - جمهورية جنوب أفريقيا : (٣)

تعتبر (جمهورية جنوب أفريقيا) من أسوأ أنواع (الاستعمار

١ يدخل في نطاق الاستعمار الاستيطاني ،المناطق التي اجتاحها المستوطنون الأوروبيون ، إبان الكشوف الجغرافية في عصر النهضة الأوروبية ، خلال (القرون ١٤ - ١٦ م) ، حيث أبادوا سكانها الأصليين ، ولم يبق منهم إلا فئات قليلة ، بعضها انعزل - إلى يومنا - ، والبعض الآخر اندمج - في أجياله اللاحقة - في المجتمع الجديد ، بحيث لم تعد تلك المشكلات -الآن- مطروحة قانونياً ، ومن أهم تلك المناطق :

١- قارة أمريكا : وتتكون من (ثلاثة أقسام) : أمريكا الشمالية ، وأمريكا الوسطى ، وأمريكا الجنوبية ، وقد اكتشفها الرحالة الأوروبي (كرستوف كولمبوس) عام ١٤٩٢ م - ٨٩٨ هـ ، حيث فتحت للاستيطان الأوروبي ، الذي أخذ على عاتقه تصفية سكانها الأصليين المعروفين بـ (الهنود الحمر) ، الذين قاوموا أولئك المستوطنين الغرباء بشدة ، ولكنهم غلبوا - في النهاية - على أمرهم ، فتراجع من بقي منهم إلى الداخل ، حيث ذاب أكثر أحفادهم في البوتقة الأمريكية الحديثة ، ولاسيما في أمريكا الشمالية ! . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩١١ و ١٩٥٧ - ١٩٦٢ .

٢- قارة أوقيانوسيا : وتتكون من عدة دول ، أهمها : (استراليا) ، و (نيوزيلندا) ، وقد استوطنهما البريطانيون منذ (القرن ١٨م) ، على الرغم من معارضة سكانهما الأصليين ، الذين خاضوا حروباً ضد هؤلاء المستوطنين الغرباء ! . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤١ - ١٤٢ و ١٨٧٣ .

٢ هناك بلاد أريد لها أن تكون مناطق استيطانية أوروبية مستديمة ، إلا أنها استطاعت بعد نضال طويل أن تتحرر من هذا الاستعمار الاستيطاني ، كالجزائر ، وزيمبابوي ، وأنجولا ، وموزامبيق ، وغيرها .

٣ جمهورية جنوب أفريقيا : الموقع : تشغل - على شكل مثلث - الطرف الجنوبي للقارة الأفريقية . الحدود : تطل على المحيط الهندي شرقاً ، والأطلسي غرباً ، وتحدها شمالا : موزامبيق ، زيمبابوى ، بوتسوانا ، زامبيا . المساحة : (١,٢٢١,٠٧٧ كم مربع) . السكان : (٣٠ مليوناً) (٢٥ مليوناً من الملونين : الأفارقة والآسيويين . و٥ ملايين من البيض الأوروبيين) . اللغة : الانجليزية ، والافريكانية ، ولغات أفريقية محلية مثل : الزولو ، والسوسو ، والكسوسا ، والشفانا ، والشانغا ، والنديبيلي ، والسواذي ، والفاندا . الديانة : النصرانية (والأكثرية من البروتستانت) ، والإسلام ، واليهودية ، والوثنية . انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ١٠٢ .

الاستيطاني العنصري) في العالم أجمع ، ولايفوقها في ذلك سوى (إسرائيل) ، حيث يتحكم في زمام هذه الدولة : الأقلية الأوروبية البيضاء ، التي ترجع في جذورها إلى المستوطنين الأوروبيين الأوائل ، الذين زرعهم الاستعمار الأوروبي : الهولندي ، ثم البريطاني ، وسط أكثرية من السكان الأفارقة الأصليين ! . (١)

ذلك أن هولندا أنشأت - عن طريق (شركة الهند الشرقية الهولندية) - في مناطق أفريقيا الجنوبية - بعد طرد السكان الأصليين - أول مستعمرة استيطانية بيضاء عام ١٦٥٢م - ١٠٦٢ هـ ، في رأس الرجاء الصالح (مقاطعة الكاب) ! . (٢)

وقد انتقلت السيطرة على تلك المستعمرة عام ١٨١٤ م - ١٢٢٩ هـ إلى بريطانيا التي شجعت الهجرة الإنجليزية إليها ، ونمت الإرساليات الإنجليكانية فيها ، وأعلنت (الإنجليزية) لغة رسمية لها ! . (٣)

وقد أثارت هذه التصرفات حفيظة (البوير (٤) - Boers) -المنحدرين من أصل أوروبي طيلة العهد الهولندي - ، حيث نزحوا بأعداد كبيرة إلى خارج حدود المستعمرة ، باتجاه الشرق والشمال ، وأعلنوا استقلالهم في جمهوريتي : (أورانج الحرة) و (ترانسفال) ! (٥) اللتين عاشتا حياة مضطربة حتى نهاية (القرن التاسع عشر الميلادي) ؛

---

١ انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ١٠٢ .

٢ انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ١٠٢ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٧ .

٣ انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ١٠٣ .

٤ البوير : أطلق تعبير (البوير) - وهو تعبير هولندي ، يعني حرفياً (الفلاح) - على مستوطني جنوب أفريقيا ، الذين ينحدرون من أصل هولندي أو فرنسي ، والذين يتكلمون (اللغة الهولندية) ، تمييزاً لهم عن (البيض) ، الذين ينحدرون من أصل بريطاني . وقل حل محل تعبير (البوير) - تدريجياً - منذ (القرن ١٩ م) تعبير آخر ، هو (أفريكان - Afrkaner) . انظر : موسوعة السياسة ج ١ ص ٦٢٩ .

٥ انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ١٠٣ ، و : الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٧ .

لعدة أسباب أهمها :

١ - الأزمة الاقتصادية الناتجة عن تقسيم البلاد إلى وحدتين سياسيتين متناحرتين (جمهوريتي البوير ، والمستعمرات الانجليزية) .

٢ - تهديد القبائل الأفريقية لأولئك المستوطنين الغرباء .

٣ - مطامح الدول الأوروبية الأخرى (ألمانيا ، فرنسا ، البرتغال) في أفريقيا الجنوبية .

٤ - تدفق المهاجرين بكثرة ، منذ عام ١٨٨٦ م - ١٣٠٣ هـ ، بعد اكتشاف المعادن (الماس ، والذهب) ، حيث اعتبر (البوير) أن تدفق المهاجرين هذا هو بمثابة غزو إنجليزي - يهودي ؛ يهدف إلى نهب ثرواتهم ! .

٥ - نجاح سياسة بريطانيا في ضم كل مناطق أفريقيا الجنوبية عام ١٨٩٥ م - ١٣١٣ هـ ، فيما عدا جمهوريتي (البوير) ، اللتين كانت بريطانيا تطمح إلى إخضاعهما - أيضاً - ؛ لتتم لها السيطرة على أفريقيا الجنوبية بكاملها ! (١) .

وقد عجلت هذه الأسباب في نشوب (حرب جنوب أفريقيا) ، فيما بين عامي ١٨٩٩ -١٩٠٢ م = ١٣١٧ - ١٣٢٠ هـ ، والتي انتهت بهزيمة (البوير) ، واختفاء دولتهم حيث أطلق عليهم - وهم تحت السلطة - البريطانية اسم (الأفريكان) (٢) .

وبعد (ثماني سنوات) ، من المفاوضات العسيرة بين جميع الأطراف المتنازعة توصلوا في عام ١٩١٠ م - ١٣٢٨ هـ إلى اتفاق على مشروع دستور للدولة الجديدة ، ينص على أنها دولة موحدة ، تحت مسمى (اتحاد جنوب أفريقيا) ، وأن المستعمرات المكونة لها هي مقاطعات تتمتع بنوع من

---

١ انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤.

٢ انظر : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٤ .

الحكم الذاتي في إدارة شؤونها الداخلية ، وأنها عضو في (الكومنولث (١) - Commonwealth ,The) البريطاني ، وأن (الإنجليزية) و(الأفريكانية) هما اللغتان الرسميتان فيها .

وعلى أثر اعتراض بعض أعضاء (الكومنولث) على سياسة التفرقة العنصرية ، التي يمارسها الاتحاد ضد الوطنيين الأفارقة ، أعلنت جنوب أفريقيا في عام ١٩٦١م - ١٣٨٠ هـ انسحابها رسمياً من (الكومنولث) ، وأصدرت في ٣١ آيار (مايو) - ١٥ ذي الحجة ١٣٨٠ هـ من العام نفسه دستورها الجمهوري الجديد ، تحت مسمى (جمهورية جنوب أفريقيا) ! (٢)

وقد مارس هؤلاء المستوطنون الأوروبيون - منذ طروئهم على جنوب أفريقيا - ضد الوطنيين الأفارقة أصحاب البلاد الأصليين ، كافة أشكال التفرقة العنصرية (أبارتيد (٣) - Apartheid) ، القائمة على الجنس ، واللون (٤)،في كافة مجالات الحياة : الدينية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وغيرها !

---

١ الكومنولث : كلمة انجليزية بمعنى (الخير العام) ، ويقصد بها إصطلاحاً : تنظيم سياسي تشترك فيه عدة دول كانت خاضعة للإستعمار البريطاني ؛ بهدف تحقيق مصالحها المشتركة . وقد حل هذا التعبير (الكومنولث) منذ عام ١٩٤٧ م - ١٣٦٦ هـ محل (الإمبراطورية البريطانية) ، حيث يؤلف (الكومنولث) رابطة ، جعلت من الملك البريطاني رئيساً فخرياً أعلى لهذا التنظيم السياسي ، وقد وهنت الأواصر بين الدول الأعضاء في (الكومنولث) ؛ نظراً لاتساع الفوارق بين أولئك الأعضاء ، ولاسيما بعد اتجاه بريطانيا صوب (السوق الأوروبية المشتركة) . انظر : أحمد عطية الله : القاموس السياسي ١٠١١ ، و : موسوعة السياسة ج ٥ ص ٢٦١ - ١٦٢ .

٢ انظر : أحمد عطية الله : القاموس السياسي ص ٩ .

٣ أبارتيد : كلمة (أفريكانية) بمعنى (الفصل) . وقد استخدمت كمصطلح سياسي ، يرمز إلى سياسة التفرقة العنصرية بين البيض والملونين في جنوب أفريقيا . انظر : أحمد عطية الله : القاموس السياسي ص ١ ، و : موسوعة السياسة ج ١ ص ١٦ - ١٧ .

٤ تقوم (العنصرية) في (جنوب أفريقيا) بناءاً على الجنس واللون فقط ، أما الديانة فإن أكثرية السود - ولاسيما الزعماء - تدين بـ (النصرانية) دين أولئك المستوطنين ! .

ولايتسع المقام للحديث عن هذه المجالات المتعددة ، إضافة إلى أننا سنتحدث عنها - تفصيلا - في موضوعنا الرئيس (إسرائيل) - إن شاء الله تعالى - ، وفي ذلك غنى ؛ لأن التشابه الكبير واضح للعيان بين النظامين العنصريين في (جنوب أفريقيا) و (إسرائيل) ! (١)

ولكن حسبنا - هنا - إشارة لذلك عن طريق جدول بياني ، يوضح بعض تلك الأشكال العنصرية : (٢)

السود والملونون (٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠)	السكـــان	البيـــض (٥ر٠٠٠ر٠٠٠)
١٣٪	توزيع الأراضي	٨٧٪
٢٠ ٪	توزيع الدخل القومي	٨٠ ٪
١	المقارنة في معدل الدخل	١٤ مرة أكثر
ابتداءأمن (٣٦٠) راند(٣)	الحد الأدنى الخاضع لضريبة الدحل	ابتداءأمن (٧٥٠) راند
طبيب واحد لكل (٤٤ر٠٠٠) شخص	الأطبـاء	طبيب واحد لكل (٤٠٠) شخص
٢٠٠ بالالف في المدن ٤٠٠ بالالف في الارياف	نسبة وفيات الأطفال	٢٧ بالالف
(٤٥) راند	مخصصات التعليم السنوية لكل طفل	(٦٩٦) راند
أستاذ واحد لكل (٦٠) تلميذاً	عدد الأساتذة بالنسبة إلى التلاميذ	أستاذ واحد لكل (٢٢) تلميذ

١ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ، انظر : إحسان الكيالي : العنصرية والفصل العنصري في جنوب أفريقيا وإسرائيل ص ٤١ -١١١ ، و : د/ عبدالملك عودة : الإعلام الصهيوني - أطروحات ومواقف ص ٢٠٨ -٢٢٢ .

٢ انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ١٠٩ ، نقلا عن : بريد الأونيسكو - تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٧ م .

٣ الراند : عملة (جمهورية جنوب أفريقيا) ويساوي (١,٤ دولار) أمريكي ، انظر : أحمد عطية الله : القاموس السياسي ص ٤١١ .

وما تـــزال حكومة جنوب أفريقيا - إلى يومنا هذا - ماضية في سياستها العنصرية القمعية الجائرة ضد الوطنيين الأفارقة ، على الرغم من قرارات (هيئة الأمم المتحدة) ، التي تدين كافة ممارساتها العنصرية ، ومقاطعة العديد من دول العالم لها ، ومحاولات الوطنيين المتكررة للتخلص من هذا الوضع المزري ، أو - على الأقل - تخفيفه ، وهو ما بدأت تأخذ به مؤخراً ! .

كل ذلك ؛ بسبب نزعة الاستعلاء عند الرجل الأوروبي الأبيض ! ، وتمنع القوى الاستعمارية - وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا - من معاقبتها ، ولو من الناحية الاقتصادية ! . (١)

بل كيف يرجى منها ذلك ، وهي التي مكنتها ، وشجعتها على مثل هذه السياسات العنصرية البغيضة ؟ !! .

ومع ذلك ، فالمتوقع أن تتخلى الحكومة البيضاء في جنوب أفريقيا نهائياً عن كافة أشكال التمييز العنصري ضد الوطنيين الأفارقة - قريباً - ؛ لتبقى العنصرية المزمنة قائمة في إسرائيل وحدها ، كما سنرى في الفقرة التالية :

٢ - إسرائيل :

تعتبر (إسرائيل) أسوأ أنواع (الاستعمار الاستيطاني) - بل أسوأ أنواع (العنصرية) على الإطلاق - في العالم أجمع ؛ لأنها تعمل - ولاتزال - على إخلاء (فلسطين) من سكانها الأصليين - بشتى الوسائل - ، وإحلال المهاجرين اليهود (الغرباء) محلهم ! .

وهـذا ماسنتحدث عنه - إن شاء الله تعالى - تفصيلا في موضع آخر (٢) .

---

١ لمعرفة حجم العلاقات بين تلك القوى الاستعمارية و (جمهورية جنوب أفريقيا) . انظر : إحسان الكيالي : العنصرية والفصل العنصري في جنوب أفريقيا وإسرائيل ص ١٥٧ - ١٦٤ .

٢ راجع : (أثر العنصرية اليهودية - الصهيونية - على الفلسطينيين) ج ٣ ص ٦٩٩.

ج - الاستعمار الجديد :

تعتبر نشأة (الاستعمار الجديد) تكيفاً وفق الظروف الدولية الجديدة ، بعد زوال مرحلة (الاستعمار التقليدي) بعد (الحرب العالمية الثانية) عام ١٩٤٥م - ١٣٦٤هـ ، ويعني « فرض السيطرة الأجنبية سياسياً ، واقتصادياً ، وثقافياً على دولة ما ، مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها ، ودون اعتماد أساليب الاستعمار التقليدية » ! . (١)

وهذا (الاستعمار الجديد) يستخدم في تحقيق أغراضه وسائل خاصة ؛ لتحاشي المعارضة الشعبية العلنية ، أو معارضة الرأي العام العالمي ، ومن تلك الوسائل :

١ - الإبقاء على الطابع الأساسي للعلاقات الدولية ، من حيث كونها علاقات بين دول كبرى متقدمة صناعياً ، ودول صغرى نامية تصدر المواد الأولية إلى الدول الصناعية بثمن زهيد ، وتستوردها بضائع مصنعة ، بأثمان مرتفعة ! .

٢ - استغلال المشكلات الإدارية ، والاقتصادية للدول النامية حديثة الاستقلال ؛ للتدخل في شؤونها الداخلية ، والضغط عليها ، من خلال القروض والمعونات المشروطة ! .

٣ - إثارة الاضطرابات الداخلية ، والانقسامات الطائفية ، والإقليمية ، والعرقية ، في (الدول النامية) (٢) ؛ تمهيداً لإخضاعها للسير في فلك القوى الاستعمارية ! .

---

١ موسوعة السياسة ج ١ ص ١٧٦ .

٢ الدول النامية : يطلق أرباب الحضارة الغربية على كثير من دول العالم في آسيا وأفريقيا -وأغلبها من الدول الإسلامية- مصطلح (العالم المتخلف) أو (العالم الثالث) ، على إعتبار أنهم هم (العالم المتقدم) أو (العالم الأول) ! وعند تهذيب هذا المصطلح تسمى تلك الدول نفسها (الدول النامية) أو (العالم النامي) ! ، وكأن الحضارة والأولوية والتقدم تكمن بالنواحي المادية بغض النظر عن النواحي الروحية ، التي ينعم بها عالمنا الإسلامي - بحمد الله تعالى -.

٤ - الاعتماد على العملاء العسكريين ، الذين لايمانعون في بيع شعوبهم ، في سبيل الإبقاء على عروشهم ! .

٥ - العمل - بكل الوسائل - على تثبيت كيانات التجزئة ، التي ولدت ، وكرست في العهود الاستعمارية ؛ كضمان لضعف هذه الكيانات : سياسياً ، واقتصادياً ، وعسكرياً ! .

٦ - إقامة الأحلاف العسكرية ، التي تربط - من خلال القواعد العسكرية ، وغيرها - الدول النامية بعجلة الاستعمار ! .

٧ - تشجيع الأقليات : (الدينية ، أو القومية ، ...) التي تتمتع بامتياز ثقافي واقتصادي على استلاب السلطة ، وممارسة التمييز العنصري ! .

٨ - تعزيز النفوذ الاستعماري ، من خلال الغزو الثقافي بأشكاله ! .

٩ - محاربة التطور الثقافي - بكافة أشكاله - ، وخصوصاً بتشجيع ظاهرة هجرة العقول إلى الدول الغربية : الأوروبية ، والأمريكية ؛ وذلك بالحوافز : المعنوية ، والمادية ، والتي لاتتوفر في الدول النامية ! .

١٠ - السيطرة على الإعلام العالمي ، وتسخير وسائله ، لخدمة الأفكار ، والمؤسسات ، والسياسات الاستعمارية ! .

١١ - استخدام المنظمات الدولية ، التي تمارس فيها الدول الكبرى دوراً رئيساً في الضغط على (الدول النامية) ، وتوجيه سياساتها ! . (١)

ونرجو أن تكون هذه المرحلة إلى أفول - أيضاً - عن قريب - إن شاء الله تعالى - .

٢ - العنصرية النازية :

١ انظر : موسوعة السياسة ج ١ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ، و : أحمد عطيه الله : القاموس السياسي ص ٥٨ - ٥٩ .

إن (النازية (١) - Nazism) حركة استعمارية حديثة ، تقوم فلسفتها على أساس عنصري ، حيث أثرت آراء المثقفين الغربيين ، خاصة آراء الفيلسوف الألماني (نيتشه) (٢) - حول سيادة (الجنس الآري) على من عداه من الأجناس الأخرى - في عقلية زعيم النازية الأوحد (آدولف هتلر) (٣)، الذي يرى أن (الجنس الآرى) هو أرقى الأجناس البشرية

---

١ النازية : اسم اختصاري أطلق على (الحزب القومي الاشتراكي الألماني) الذي أسسه (دركسلر) عام ١٩٢١ م - ١٣٣٩هـ ؛ كرد فعل لهزيمة ألمانيا في (الحرب العالمية الأولى) عام ١٩١٨ م - ١٣٣٦ هـ . وقد تولى (هتلر) زعامة الحزب ، بعد أن قضى على مؤسسه (دركسلر) ، حيث قاد العالم إلى (الحرب العالمية الثانية) عام ١٩٣٩ م - ١٣٥٨ هـ ، والتي انتهت عام ١٩٤٥ م - ١٣٦٤ هـ بانتحار (هتلر) ، واستسلام ألمانيا للحلفاء ، وتقسيمها ، وهزيمة حلفائها ! ؛ وبذلك انتهى هذا الحزب بمحاكمة قادته ، وإعدام أغلبهم . انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٥٠٣ - ٥٠٥ ، و د : عبدالوهاب محمد المسيري وآخرين : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣٩١ - ٣٩٤ .

وعن علاقة اليهود بالفكرة (النازية) ، يقول الأستاذ/ هاني نقشبندي :

« يسود اعتقاد قوي عام بأن فكرة النازية ذات أصل يهودي ، تزعمها عالم في الجغرافيا والسياسة ، ألماني الأصل يدعى (كارل ريستر) ، وهو يهودي ، عمل في (جامعة فرانكفورت) ، لينتقل بعد فترة من الزمن إلى (لندن) ، حيث عاش في (حي سوهو) ، وهو نفس الحي الذي عاش فيه (ماركس) ، وفي عام ١٨٤٩ م [١٢٦٥ هـ] أعلن بيانه عن (الجنس الآرى) وتمجيده له » : يهود تحت المجهر ص ١٣٥ .

٢ راجع : ترجمة (نيتشه) ص ٣٥.

٣ آدولف هتلر : (١٨٨٩ - ١٩٤٥ م = ١٣٠٦ - ١٣٦٤ هـ) زعيم (الحزب النازي) ، رئيس ألمانيا ، يعرف بلقب (فوهرر) بمعنى : (زعيم) ، ولد في (براونا - النمسا) ، ثم انتقل عام ١٩٠٧ م - ١٣٢٥ هـ إلى (فينا) ، حيث رفض طلب التحاقه في (أكاديمية الفنون) ، وقضى بضعة أعوام في فقر مدقع ، حيث بدأت كراهيته الشديدة لليهود ، وفي عام ١٩١٣ م - ١٣٣١ هـ انتقل إلى (ميونخ) ، وعند نشوب (الحرب العالمية الأولى) انخرط متطوعاً في صفوف الجيش الألماني . اشترك في (حزب العمال الألماني) الذي أسسه (دركسلر) ، ومالبث أن أصبح زعيم هذا الحزب ، حيث أطلق عليه مسمى (الحزب النازي) . حاول عام ١٩٢٣ م - ١٣٤٢ هـ إحداث انقلاب في (حكومة بافاريا) ، ولكن الجيش البافاري قمع الثوره ، فحكم علية بالسجن (خمس سنوات) ، حيث كتب مؤلفه (كفاحي) الذي صار دستور (النازية) ، وبعد أن سجن (ثلاثة عشر شهراً) أطلق سراحه . وقد ساعدت الأزمات المتلاحقة التي حلت بألمانيا إلى انضمام أعداد كبيرة من

وأنقاها ، وأن (الآريه) (١) هي أساس الحضارة وتطورها ، حيث يقول :

« كل محاولة لمعرفة العرق هي مضيعة للوقت والجهد ، فالأعراق هي التي أوجدت الحضارة ، وأسست بالتالي ماندعوه الحضارة البشرية . إن الآريين قد أسسوا في الماضي حضارة بشرية متفوقة ، ولذلك فهم يمثلون النموذج البدائي لما نسميه (الإنسان) ، فكل ماتراه من الحضارات البشرية يعود بأصله إلى ثمرة النشاط الآري الخلاق ؛ فقد كان الآري ولم يزل حامل المشعل الإلهي الذي ينير الطريق أمام البشر ، فشرارة العبقرية الإلهية انطلقت من جبينه المشرق ، وهو الذي فتح دروب المعرفة أمام الإنسان ، ليجعل منه سيد الكائنات الحية على هذه الأرض ، فإذا توارى الآري سيسود الظلام ، وتنهار الحضارة البشرية في بضعة قرون .

الألمان إلى (الحزب النازي) ؛ مما دفع (هتلر) إلى الاشتراك في انتخابات رياسة الجمهورية عام ١٩٣٢ م - ١٣٥٠ هـ ، ولكنه هزم أمام (هندنبورج) ؛ الذي رفض تعيينه مستشاراً ، الا أن (هندنبورج) عاد وقبل أن يشكل (هتلر) وزاره إئتلافية في ٣٠ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٣م - ٣ شوال ١٣٥١ هـ ، وبوفاة (هندنبورج) عام ١٩٣٤م - ١٣٥٣ هـ جمع (هتلر) بين (المستشارية) و (رياسة الجمهورية) . أدت سياسته الخارجية ذات الطابع العدواني إلى (الحرب العالمية الثانية) عام ١٣٣٩ م - ١٣٥٨ هـ ، حيث انتصرت قواته في بادىء الأمر ، إلا أنها خرجت في النهاية صريعة أمام هجوم الحلفاء على ألمانيا من كل ناحية عام ١٩٤٥ م - ١٢٦٤ هـ ، فانتحر (هتلر) في ٣٠ نيسان (إبريل) عام ١٩٤٥ م - ١٧ جمادى الأولى ١٣٦٤ هـ ، بقبو مبنى المستشارية في (برلين) مع زوجته (إيفابراون) . أحرق جثمانه ؛ بناءاً على وصيته ، ثم عين الأميرال (كارل دونتر) في ١ آيار (مايو) - ١٨ جمادي الأولى من العام نفسه خلفاً له ، حيث سلم للحلفاء دون قيد أو شرط ، بعد أسبوع من تعيينه ! . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٩١ ، و : أحمد عطية الله : القاموس السياسي ص ١٣٤٠ - ١٣٤٢ .

١ الآرية : كلمة أصلها (سنسكريتية) ، ومعناها : نبيل ، استخدمها (الهندوس) لتمييز أنفسهم وغيرهم من الشعوب التي تتكلم (اللغات الهندية الايرانية) ، ثم أطلقت على (اللغات الهندية الأوروبية) الاخرى ، وقد شاع استخدامها في (العصر الحديث) في الكتابات غير العلمية عن الأجناس البشرية ! . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦ .

أما إذا صنفنا البشر إلى ثلاث فئات : الفئة الأولى التي خلقت (١) الحضارة ، والثانية التي حافظت عليها ، والثالثة التي قوضت دعائمها ، فإننا نجد أن الآري هو الممثل الوحيد للفئة الأولى ، فهو الذي يضع حجر الأساس ، ووضع تصميم ماحققه التقدم البشري ، وقد تولى التنفيذ كل عرق على طريقته الخاصة ، وأصبحت المظاهر الخارجية تعرف بطابع المنفذين لها » ! (٢)

وقد وصلت (العنصرية) في ألمانيا حداً فاق كل تصور ، حيث نشأت طائفة تتبرأ من المسيح عيسى - عليه السلام - ؛ لكونه من بني إسرائيل ، يقول أحد المعلمين الألمان ، وهو الدكتور (أترني) : (٣)

« لأي شيء يدرس أولادنا تاريخ أمة أجنبية ، ولماذا يقص عليهم قصص إبراهيم ، وإسحاق ؟ ، ينبغي أن يكون إلهنا - أيضاً - ألمانياً » ! . (٤)

ولذلك ظهرت في ألمانيا نزعة وثنية ، ترمي « إلى إحياء الآلهة القومية القديمة ، التي كان يعبدها الشعب الألماني في عهده القديم » ! . (٥)

وقد وزعت (النازية) أجناس البشر إلى مراتب ، « فوضعت في الطبقة العليا الجرمان أهل الرايخ (٦) الألماني ، يليهم الجرمان الذين لايعيشون في الرايخ الألماني ، ويأتي بعدهم النورديون الخلص

---

١ الخلق من اختصاص الله تعالى وحده ، والأولى أن تترجم هذه الكلمة بـ (الايجاد) ، أو نحوها . والله أعلم .

٢ كفاحي ص ٩٩ .

٣ أترني : لم أقف له على ترجمه .

٤ أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢١٣ .

٥ المرجع السابق ص ٢١٣ .

٦ الرايخ : كلمة ألمانية ، تعني في الأصل (الدولة) ، ثم أصبحت تعنى معنى أوسع ، وهو (الامبراطورية الألمانية) . انظر : موسوعة السياسة ج ٢ ص ٨٠٣ .

obeikandl.com

كالنرويجيين والدانماركيين والسويديين ، ثم الأنجلوسكسون (١) ، والنورمانديون (٢) ، وغيرهم من الأقرباء ، التيتون(٣) ، أما الطبقة السفلى فقد وضعت النازية الزنوج فيها ، ثم وزعت بقية الأجناس فيما بين هاتين المنزلتين » ! . (٤)

وقد وضع (هتلر) مبادىء حزبه (النازي) عام ١٩٣٠ - ١٩٤٩ هـ في صيغة ميثاق وطني ، يرمي إلى عدة أهداف ، من أبرزها ماجاء في (المادة الرابعة) :

«لايحق لغير أعضاء الأمة أن يكونوا مواطنين في الدولة ، ولايحق لغير الذين ينحدرون من دم ألماني مهما كان مذهبهم أن يكونوا أعضاء في الأمة » !. (٥)

وكان شعار النازيين : « أمة واحدة ، دولة واحدة ، زعيم واحد » ! (٦) ، ونشيدهم : « ألمانيا فوق الجميع » ! . (٧)

وما أن وصل (الحزب النازي) إلى السلطة بزعامة (هتلر) في مطلع عام ١٩٣٣ م - ١٣٥١ هـ ، حتى أدت سياسته العنصرية - بعد بضعة أعوام - إلى (الحرب العالمية الثانية) (٨) ، عام ١٩٣٩ م - ١٣٥٨ هـ ، والتي انتهت عام ١٩٤٥ م - ١٣٦٥ هـ بنتائج قاسية - على الجميع - ، ومن أعظمها : تقويض : السلام العالمي ، وتدمير الإنجاز الحضاري ، وإهلاك ملايين البشر في

---

١ الأنجلوسكسون : هم سكان إنجلترا . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٣٧ .

٢ النورمانديون : هم سكان فرنسا . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٥٨.

٣ التيتون : ربما تكون بقية الشعوب الأوربية .

٤ د/ محمد كمال الدسوقي وعبدالتواب عبدالرزاق سلمان : الصهيونية والنازية ص ٧٥ - ٧٦ .

٥ محمد عبدالله عنان : المذاهب الاجتماعية الحديثة ص ١٢٦ .

٦ د/ محمد الدسوقي وعبدالتواب سلمان : الصهيونية والنازية ص ٧٤ .

٧ المرجع السابق ص ٧٤ .

٨ انظر : المرجع السابق ص ٨٦ .

أنحاء المعمورة (١) ، فضلا عن زعيمها الأوحد (٢) ، وقادتها البارزين (٣) ! .

وكان من أسباب انهيار (النازية) واندحارها ، مايأتي :

١ - اعتماد النازية على (العنصرية) كأساس لقيامها وتحركها على الساحة العالمية ! .

٢ - اعتماد النازية على التسلح والعدوان والتوسع ، لتحقيق حلمها في إيجاد إمبراطورية ألمانية ، تخضع العالم لسلطانها ! .

٣ - تكاتف العالم في مواجهة الخطر النازي الزاحف ، الذي لو ترك له العنان لقضى على الحضارة الإنسانية ! . (٤)

ومع ذلك ، « فإن الفلسفة التى ارتكزت عليها النازية - وهي الفلسفة العنصرية - ظلت قائمة ، تجد في أوروبا ، وأفريقيا ، وأمريكا من يساندها ، ويدعو إليها ، ويتشبث بها ، ويمارسها بحقد وعنف ، وتحد وغرور ، عبر حملات الكراهية والظلم ، والاستعلاء على الشعوب السوداء وغيرها ، والزراية بالملونين ، واستعباد الشعوب الضعيفة ، وسحق ملايين البشر من المحرومين البائسين » ! .(٥)

وفي هذا يقول الشاعر الفرنسي (ميشال ليريس) (٦) :

---

١ انظر : عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٨٣ .

٢ راجع : ترجمة (هتلر) ص ٤٩.

٣ راجع : (محاكمات نورمبرج) ج ٤ ص ٥٨.

٤ انظر : د/ محمد الدسوقي وعبدالتواب سلمان : الصهيونية والنازية ص ١١٢ .

٥ عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٨٣ .

٦ ميشال ليريس : (١٩٠١ م - ؟ = ١٣١٩ هـ - ؟) شاعر فرنسي ، من أشهر الشعراء المعاصرين ، ومن أهم (الشعراء السرياليين) ، ابتعد بالشعر عن الحياة العملية ، جاعلا عالمه الأحلام ، وطابعه تعبير الشاعر عن ذات نفسه ، كما اتخذ مادته من الصور والألفاظ التي تثير كوامن اللاشعور . ولـ (ليريس) دواوين عديدة ، من أهمها : (الفخر) ، و(دليل بلاليل) ، و

« لقد ظن أن العنصرية قد ماتت بسقوط (آدولف هتلر) ، ولكنها كانت نظرة ضيقة ، غاب عن ذهن أصحابها أن فكرة التفوق العنصري متأصلة في غالبية البيض ، حتى عند الذين يعتبرون أنفسهم أقل الناس عنصرية » ! . (١)

وبعد أن تحدثنا عن (العنصرية) - بشكل عام - يحق لنا أن نتساءل : هل كل تصرف معاد ، يصدر عن أمة من هذه الأمم - كـ (اليهود) موضوع بحثنا -، ضد أمة أخرى ، يمكن أن يوصم بـ (العنصرية) ؟ ! .

والجواب : كلا ، إلا إذا كانت هذه الأمة - الصادر عنها هذا التصرف المعادي - مستندة إلى أسطورة تعتمد معياراً مادياً من المعايير الجاهلية ، حول تفوق هذا العنصر المعتدى - جنسياً ، أو بيئياً ، أو شكلياً ، أو لونياً ، أو لغوياً ، أو طبقياً ، ... - على غيره من العناصر الأخرى - كما هو حال (اليهود) موضوع بحثنا هذا - ! .

ومن خلال هذا الاستعراض الوجيز (٢) لأهم مايتعلق بتاريخ (العنصرية) عند تلك الأمم في القديم والحديث ، يتضح لنا أن فكرة (العنصرية) تتطور بتعاقب الأزمنة ، واختلاف البيئات - تدريجياً - نحو الأسوأ دوماً ، وذلك لصدور هذه العنصرية عن الفكر البشري المحض ، المجرد عن هداية الوحي الإلهي . (٣)

(عصر الإنسان) . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٩٤ .

١ عمر الخطيب : نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري ص ٨٣ ، نقلا عن : ميشال ليريس : بحث العرق والحضارة، من كتاب اليونسكو : العرق إزاء العلم ص ٨٩ .

٢ لمزيد من المعلومات حول (العنصرية) عند كافة الأمم . انظر : عابد بن سليمان بن سلمان المشوخي : العنصرية عند الأمم وموقف الإسلام منها .

٣ لمعرفة تقويم العنصرية تفصيلا . راجع : (الموقف من العنصرية) ج ٤ ص ٥.

هـذا فيما يتعلق بـ (العنصرية) - بشكل عام - ، أما موضوع بحثنا (العنصرية اليهودية) - بشكل خاص - فهو ماسنتحدث عنه - إن شاء الله تعالى - تفصيلا في الفصول التالية :

obeikandl.com